٢

حملة كوروس وتاريخ بلاد اليونان

لاكسينوفون

بقلم:
كمال ممدوح حمدى

مقدمة :

ولد اكسينوفون [١] Xenophôn حوالى سنة ٤٣٠ ق٠م وتوفى حوالى سنة ٣٥٤ق٠م [٢] ، ومن ثم فقد أصبحت حياته وأعماله وديعة فى خزانة

---

١ ـ آثرت كتابة الأسماء مترجمة ترجمة صوتية ، Translecteration ، وأضفت حرف الألف فى بداية اسم اكسينوفون لتخفيف البدء بحرف ساكن جريا على ما هو شائع فى نقل هذه الأسماء مثل أفلاطون بدلا من بلاتو ، واسبرطه بدلا من سبرطة وهكذا ٠

٢ ـ ظل التاريخ الشائع لميلاد اكسينوفون هو ٤٤٠ ق٠م أو قبل ذلك بقليل ، والتاريخ الشائع لوفاته هو ٣٥٦ ، أنظر مثلا :
G.E. Underhill, *Xenophon, Hellenica,* I, II; Oxford, 1888, p. 51.
حيث يحدد ميلاد اكسينوفون بعام ٤٤٤ق٠م ووفاته بعام ٣٥٦ ق٠م تقريبا ٠ غير أن ظهور كتاب :
W. Mitford, *History of Greece,* iv.
قد صحح بالأدلة هذين التاريخين فأصبح عام ميلاده هو ٤٣٠ ق٠م ، ووفاته عام ٣٥٤ ق٠م أنظر :
W. Mitford, *idem,* p. 292. apud :
M. Cary and others, (editors), *The Oxford Classical Dictionary ;* Oxford, 1968, p. 962.

الماضي البعيد • ونحن حين نتناول حيـاة ذلك المؤرخ أو أعماله بالبحث والدراسـة ، سنجد أنفسنا ــ شئنا أو لم نشأ وقد تورطنا فى اصدار الأحكام العامة عنه كأن نقـول انه كان مؤرخا صادقا وفريدا ، أو انه كان راوية كـذابا ، أو نقول ما هو وسط بين هـذين الحكمين ، فبأى حق نصدر تلك الأحكام ؟ مهمتنا لا شك عسيرة ان نحن أردنا الصدق ، اذ علينـا أن نبتعث الى الوجود من جديد رجلا مات منذ أكثر من ألفى سنة لنتأمل عالمه ولنتعرف على أخلاقه وعلى فكره وثقافته ، ثم علينا وقد أصبح ماثلا أمامنا ان نوثق أواصر صداقة حميمة بيننا وبينه وأصـدقائه ، ليبوح لنا بحقيقة ما يستغلق على أفهامنا ، وليبوح لنا أصدقاؤه بما قد يخفيه عنا ، وعلينا كذلك أن ننتزع من أذهاننا كل فكرة مسبقة قبل أن نقدم على قراءة كتاباته ، أن نتخلص من حبنا له ان كنا قد أحببناه من خلال ما قرأنا عنـه ، ومن بغضنا له ان كنا قد بغضناه ، لنسمع منه الحقيقة كل الحقيقة ، ونرى الى أى مدى كان صادقا فى رواية تلك الحقيقة فيما كتب ، والى أى مدى كان مخلصا فى البوح لنا بمدى ذلك الصدق • واذا كان التاريخ هو جملة من أفعال وتجارب انسانية ماضية ، والتأريخ هو اعادة صياغة تلك التجارب والأفعال على نحو ما جرت ، أو هو الرواية التى ينشئها الكاتب حول تلك الأفعال ، فان مشكلة اصدار حكم على صاحبنا تكون قد أصبحت أكثر تعقيدا ، لأن اكسنوفون قد شـارك بنفسـه فى صناعة التجارب التى رواها فى كتاباته التاريخية، ونحن لا نعرف ما اذا كان اكسينوفون قد أصابه ما أصاب كارليل مثلا بعد ذلك من تعشق للعظماء ومن ثم فهو فى روايته للتجارب الانسانية الماضية، يجرى الأحداث فى فلك هؤلاء العظماء باعتبارهم فرسان تلك التجارب فيصبح التاريخ عنده هو سيرة هؤلاء ، وناهيك عما ينطوى عليه ذلك من تحيز ؟ كما أننا لا نعرف ما اذا كان قـد أصابه ما أصاب ويلز مثلا الذى كان ينفر من العظماء ومن ثم لايرى التجارب الانسانية التى شارك فى نسجها هؤلاء العظماء الا مجموعة من الأفعال تقوم على الفوضى وعدم الاخلاص • بمعنى آخر نحن لا نعـرف ما اذا كان اكسـنوفون قد انحاز لأصدقائه أبطال التجارب التى يرويها فى كتاباته التاريخية ولنفسه باعتباره أحد الذين شاركوا فى صناعة تلك التجارب ، أم انحاز ضدهم وأنكر نفسه •

ومشكلة اصدار الحكم على اكسينوفون قـد أصبحت أكثر تعقيدا لأن علينا الآن ــ وقد أمكننا انتشال الكاتب وأعماله من أغوار المـاضى ــ أن نبتعث الى الوجود عصرا بأكمله نرى منه بالذات تلك الفترة التى كتب عنها اكسينوفون فى ضوء ظروف العصر كله ، وعلينا بعد ذلك ، وقبل أن نصوغ أحكامنا ، أن نختبر العلاقة بين الرواية كما يسجلها اكسينوفـون وبين الواقعـة التى شاهدها ونقلها الى روايته ، فان أعوزتنا الحيلة ــ لطول الزمان وبعد المكان ــ فى محاولة تمثـل الواقعة التاريخية من خلال دراسة العصر وظروفه فليس أمامنا من وسيلة أخرى الا أن نبحث عن رواية أخرى تحكى الواقعة التاريخية نفسـها ونطابق بين الروايتين ، أو بين الرواية موضوع الاختبار والروايات الأخـرى التى تنقل نفس الواقعـة ، فان اتفقت جميعـا كانت رواية اكسينوفون أقرب ما تكون الى الصـدق ، وان

اختلفت فعلينا أن نقرأ كتابات المعاصرين اصاحبنا ورأيهم فيما كتب •

لقد كان من سوء حظ اكسينوفون أن بقيت محاورة أفلاطون « الدفاع » التى سجل فيها محاكمة سقراط ودفاعه عن نفسه ، ثم قورنت الوقائع التى رصدتها هذه المحاورة بما كتبه عنها اكسينوفون فى «الذكريات *Apomnêmoneumata* ولقد ثبت أن اكسينوفون لم يرو أحداث تلك المحاكمة كما وقعت بالفعل ، وأنه نسب الى نفسه ما ليس له ، وقد ألقى ذلك ظلال شك وارتياب فى صدق ما كتب اكسينوفون لعله لم يكن يستحقها • وهذه الدراسة تبغى انصاف ذلك الرجل الفريد ، الاديب والفنان والفيلسوف والمؤرخ والقائد الحربى والقاص والمواطن الصالح ، ويهمنا من هذه الجوانب كلها اكسينوفون المؤرخ ، وان كان من العسير الفصل بينها جميعا أو بمعنى آخر ، حديثنا عن اكسينوفون سيكون حديثا عن الحرب والسياسة فحسب •

أعمال اكسينوفون :

يقال ان سقراط عندما قابل اكسينوفون أول مرة ، وكان اكسينوفون اذ ذاك صبيا ، سأله سقراط وقد استوقفه فى الشارع حيث قابله ، من أين يمكن الحصول على أشياء مختلفة • وبرغم أن سقراط كان يطرح أسئلة كالأحاجى فقد أجابه الصبى اكسينوفون ببراعة وذكاء أذهلا سقراط ، فسأله أخيرا : ومن أين آتى برجل عظام ؟ واحتار الصبى لحظة ثم أجاب : « اذن فاتبعنى » • ولقد غدت هذه الواقعة نبوءة تحققت وأصبح اكسينوفون علامة تشير الى جانب مضىء من الحضارة اليونانية القديمة •

وعندما بلغ اكسينوفون التاسعة والعشرين من عمره ، أى فى عام ٤٠١ق•م ، دعاه صديقه بروكسينوس *Proxenos* من بويوتيا الى الانضمام الى حملة كوروس *Kyros* الى بلاد الفرس ، وقد حرص اكسينوفون على أن يسجل أحداث تلك الرحلة فى واحد من مؤلفاته وهو « الأناباسيس *Anabasis* » أو « الحملة » وهو الكتاب الذى تدور حوله هذه الدراسة وان كنا سنعرض ببعض التفصيل لكتاب آخر من كتبه وهو كتاب «تاريخ اليونان» *Hellênika* وفى سنة ٣٩٦ ق•م قبل الخدمة مع ملك اسبرطه أجيسيلاوس *Agesilaos* فى مواجهة الفرس ولما عاد أجيسيلاوس الى بلاد اليونان مدفوعا بسير الأحداث اللاهث هناك اصطحب معه اكسينوفون الذى وجد نفسه فجأة يحارب فى صفوف الاسبرطين فىمعركة كورينيا *Koreneia* (٣٩٤ ق•م) ومن ثم تقرر فى أثينا أن تصادر ممتلكاته وأن يظل منفيا خارج البلاد • وقد أهداه الاسبرطيون مزرعة فى اليس *Elis* قضى فيها عشرين عاما من حياته ، فى الصيد وتربية الخيول وكتابة أعماله ، وفى سنة ٣٦٥ ق•م ألغى عنه الحكم بالنفى ، لكننا لا نعرف ما اذا كان قد عاد الى أثينا بعد ذلك أم لا ، غير انه من المعروف أن ولديه قد حاربا فى الجانب الاثينى واستشهد جروللوس *Gryllos* وبقى الآخر • وتوفى اكسينوفون سنة ٣٥٥ أو ٣٥٤ ق•م •

وقد سجل اكسينوفون فى كتاباته كل تجارب

حياته ، ومن ثم فان ثراء تلك الكتابات تكشف عن حياة خصبة عاشها صاحبنا .

١ ـ يأتى فى مقدمة كتاباته كتاب «أناباسيس» أو الحملة الذى سجل فيه أحداث حملة كوروس الى بلاد الفرس ، ويضم العمل سبعة كتب .

٢ ـ « الهللينكا » *Hellênika* أو تاريخ بلاد اليونان يبدأ من حيث انتهى ثوكوديديس *Thoukydidês* أى من سنة ٤١١ ق.م الى معركة مانتينيا *Mantineia* سنة ٣٦٢ق.م ويقع فى سبعة كتب أيضا .

٣ ـ « كوروبايديا *Kyropaideia* » أو «تربية كوروس » يتناول فيه اكسينوفون حياة كوروس الأكبر فى ثمانية كتب ، وهو أكثر أعمال اكسينوفون براعة فى الصقل وان كان بالغ الطول وتتكرر فيه أجزاء كثيرة على نحو رتيب.

٤ ـ « نظام الادارة عند اللاكيديميين » *Lakedaimoniôn Politeia* يتناول فيه الهيئات والمؤسسات وادارات الاسبرطيين بكثير من الثناء الذى يشوب العمل .

٥ ـ « أجيسلاوس » *Agesilaos* ، وهو مدح وثناء لصديقه الملك ، أنشأه اكسينوفون عقب وفاة صديقه مباشرة سنة ٣٦٠ ق.م . ورغم الطابع البلاغى الظاهر فى هذا العمل والذى يشابه بين أسلوب اكسينوفون فى هذا المؤلف وأسلوب جورجياس فان السرعة غالبة عليه فى كتابته .

٦ ـ « ذكريات حول دفاع سقراط » *Apomnêmoneumata* فى أربعة كتب ، يسجل فيه اكسينوفون دفاع سقراط عن نفسه فى المحاكمة التى انتهت باعدامه .

٧ ـ « دفاع سقراط » *Apologeia Sôcratous* يعلل فيه اكسينوفون الأسباب التى جعلت سقراط لا يدافع عن نفسه على نحو أفضل .

٨ ـ « المقتصد » *Oikonomikos* حوار بين سقراط وكريتوبولوس عن ادارة الدولة .

٩ ـ « المأدبة » *Symposion* وصف لحفل شراب وهمى فى منزل كالياس احتفاء بفوز أوتولوكوس فى أعياد الباناثينيا فى ٤٢٢ ق.م ، وكان سقراط واحدا من الضيوف .

١٠ ـ « هيرون » *Hierôn* محاورة بين هيرون الأكبر من سيراكوز وبين سيمونيديس من كيوس والذى زار سيراكوز سنة ٤٧٦ق.م والحديث فى هذا العمل شقان ، الأول يجيب عن هذا السؤال : هل المواطن العادى هو الأفضل أم الطاغية ؟ ويجيب الثانى عن هذا السؤال ، ماذا يفعل الطاغية لكسب وجدان شعبه ؟

١١ ـ « قائد الخيل » *Hipparchikos* يعرض لواجبات قائد الخيالة ، وهو مهدى لواحد من أصدقائه ربما كان على وشك أن يتسلم هذا المنصب .

١٢ ـ « عن الخيل (ورعايتها) » *Peri Hippikês* وهو أقدم معالجة لهذا الموضوع وأكثرها كمالا .

١٣ - « عن الوســــائل » *Peri porôn*
يقدم الحلول والوسائل لتحسين المعاملة المالية في أثينا .

١٤ - « عن الصـــيد » *Kynêgetikos*
ويتحدث فيه اكسينوفون بشكل خاص عن صيد الأرانب . ورغم ان موضوع الكتاب الأساسي هو الصيد فان الطابع البلاغي يغلب على الصياغة فيه، كما ان المعالجة الفلسفية في تناول الموضوع شديدة الوضوح .

ولعل هذه الأعمال تقدم لنا صاحبها كاتبـــا موسوعيا ثري المواهب وان كان الطابع الغـــالب على هذه الكتابات هو الصياغة الأدبية والتـــأمل الفلسفي ، فلا نتجاوز الفوارق ان قلنا ان « تربية كوروس » عمل فلسفي ، أو اذا قلنا ان «الحملة» عمل أدبي وتبقى الموضوعات التي عالجها في هذه الأعمال - الاقتصاد أو التربية أو الادارة - ذريعة لطرح أفكاره وتأملاته الفلسفية علينا، واستعراض مواهبه . ولهذا على أية حال أهميته القصوى في كتابات اكسينوفون عن الحرب والسياسة، فلسنا أمام مؤرخ يقرأ عن أحداث لم يشـــهدها ، أو يتذكر ما مر به من وقائع ، أو يسـجل ما يرى - في أحسن الأحوال - كما هو ، ولسنا أمام مخبر حربي يرصد ولا يعي ، انما نحـــن أمام مفكر أديب ، يعيش الاحداث التي يكتب عنهـــا بكل أبعادها ، وينفـــذ الى أغـوارها ثم يعكس التجربة الانسانية أمامنا على نحو يستأثر بالألباب انه يصف لنا العلاقة الحميمة بين جنود ضـــلوا طريق النجاة في صحراء مهلكة لا أثر فيها لورقة خضراء أو قطرة ماء ، عليهم أن يعيشوا على دم الصيد ان استطاعوا - مع تهالكهم - القنص ، وقد فقدوا كل أمل في النجاة . لم يبق لهم غير العمل الصالح يتغمدهم برحمة في الآخرة . انهم يحبون بعضهم البعض حبا جما ، يتعاطفـــون ويتعاونون ويستعينون بالصبر على طول انتظـــار موت يريحهم ، أو نجاة لا أمل فيها . ثم يسمعون صياحا لا يتبينون له معنى ، فيهرعون الى مصــدره فاذا البحر أمامهم بكل انفتاحه ، واذا الوطن على قيد خطوات ، ويلقون بأنفسهم الى البحـــر ثم يخرجون وقد أزالوا عن أجسادهم القاذورات ، يخرجون فيتشاجرون ويتقاتلون . هـذا الموقف الانساني المعقد لا ترصده الا عين الفيلسـوف ، ولا تنقله الينا الا قدرة الأديب .

وهكذا يلحظ روز[٣] أن اكسينوفون لم يكن يلتزم بالترتيب الزمني للاحداث ، وانما كان يعيد ترتيبها ووضعها متجاورة - كما سنرى - بحيث تصل الى القارىء بالغـــة التأثير ومبرزة الفكرة خاصة يبغي التركيز عليها . ومن ثم فان كتابته عن « حملة كوروس » هي رائعة مؤلفاته ، لأنها بحكم طبيعة موضوعها المشوق قد كفت صاحبنـا عناء البحث عن أفضل ترتيب للأحداث فانصرفت كل جهوده الى التجويد والصقل والتبسيط ، ومع ذلك ظلت تدخلات الكاتب واضحة في اختيـــار زاوية المعالجة للحدث التاريخي وحذفه واضافاته ثم استبعاده لبعض الشخصيات . وهنا تقفز الى الذاكرة « مذكراته حول دفاع سقراط » حيث نسب الى نفسه المشاركة في أحداث لم يشـــارك فيها بالفعل ، وهنا أيضا يثور سؤال أساسي ، هل كان اكسينوفون مؤرخا كـذابا وما مدى ذلك ؟

---

٣ - H.J. Rose, *A Handbook of Greek Literature,* London, 1950, p. 306 ff.

ويستتبع هذا السؤال أسئلة كثيرة فرعية : هل ينبغي على المؤرخ أن يربط وقائعه بعضها البعض على النحو الذى يربط به العالم حقائقه العلمية ؟ وهل نصدر أحكامنا على اكسينوفون بالقياس على أحكام « رانكه » Ranke بأن المهمة الحقيقية للمؤرخ هى سرد ما حدث بشكل حرفى دون أن يتخطى هذا الحد ، وبأن النحو الذى جرى عليه ذلك الذى حدث هو فى الحقيقة مهمة أخرى لرجل آخر غير المؤرخ ، أم نحكم عليه انطلاقا من التفرقة بين الواقع التاريخى الذى هو مجموعة الأفعال التى وقعت بالفعل ، وبين التأريخ الذى لابد وأن يقول لنا ثلاثة أشياء : ماذا حدث؟ ثم كيف حدث ؟ ثم لماذا حدث ؟ أو بمعنى آخر، نحكم عليه بمقاييس « كروتشه » Croce الذى يفرق بين التقويم والتاريخ ؛ الأول ميت جاف ، والثانى فكر حى ؟ • ويأتى السؤال الأخير ، اذا كان المؤرخ أحد الذين شاركوا فى صياغة أحداث التاريخ التى يكتب عنها فما مدى حقه فى الحديث عن نفسه ؟ هل يقدم تفسيرا باعتباره أقدر من يستطيعون هذا التفسير أم ينفصل عن نفسه حين الكتابة عنها بحيث يصبح التاريخ الذى يصوغه سجلا لواقع الأحداث فحسب ؟

مهمتنا الآن أن نستشرف اجابة مقنعة على هذه التساؤلات من خلال ما كتبه اكسينوفون عن الحرب ، وعن السياسة ، أى من خلال عمليه الكبيرين ، الأناباسيس أو « حملة كوروس » الى بلاد فارس ، و « الهللينيكا » أو تاريخ بلاد اليونان ، ثم لنر بعد ذلك هل أفاد تدخل اكسينوفون فى عمله أم أضر •

بجوار معبد أبوللو فى دلفى *Delphoi* يقوم حجر مخروطى هو الأومفالوس *Omphalos* أو «السرة» ، أعتقد اليونانيون القدماء أنه مركز الكرة الارضية • وكان هذا لاعتقاد وليد احساسهم بالتفوق والتفرد ، وبأنهم منار يحيط به الظلام من كل جانب ، وبالتالى فهم خير الأنام وكل من وقف خارج حدود الارض اليونانية همجى ، ومن ثم أيضا فكلمة أجنبى باليونانية القديمة هى « بربراوس » *Barbaros* وايحاء هذه الكلمة لا يخفى • ولعلهم لم يجانبوا الصواب كثيرا فى زعمهم هذا ، فقد كان ذلك الشعب يصنع حضارة لا تزال الى اليوم مصدر رشد والهام يثرى وجدان العالم وفكره • ولم يكن ما حققه ذلك الشعب من امتياز وتفرد فى مجال السياسة والحرب ونظام الحكم يقل فى شىء عما حققه فى الفن والأدب والفكر • فبراكسيتليس يصوغ من الحجارة تماثيل تنطق وتتحرك ؛ وفيدياس قد جعل الازار الذى يتدثر به التمثال ، وهو من الحجارة الصماء يشف عن جسد التمثال من تحته ؛ ومسرحيات ايسخيلوس وسوفوكليس ويوربيديس لا تزال تبهر القارىء أو المشاهد ؛ وفلسفة افلاطون ومنطق أرسطو وجدل السفسطائيين العظام وانجازات علماء الطبيعة فى مجال الذرة والفلك + اناكساجوراس ونظرياته عن سطح القمر المظلم وعن الشمس ككتلة صخرية ملتهبة وعن المادة التى لا تفنى ولا تستحدث ، ونظريته عن الائتلاف والانشطار وبروتاجوراس وجهوده فى علم اللغة والفلسفة• هذه العبقرية التى أعلنت عن نفسها فى الفن والأدب والعلوم الطبيعية قد أعلنت عن نفسها

أيضا بشكل أوضح فى السياسة ونظم الحكم... ديموقراطية أساسها عشق الحرية فى العقل وفى الجسد ، وبغض للعنف والعذاب . وبهذه الروح وقفوا متفردين فى العالم ، وسنلمس تلك الحرية فيما كتبه اكسينوفون فى الأناباسيس عن العلاقة بين الجندى اليونانى ورئيسه .. انه يتصدى له ولا يطيع أوامره عن عماء ، اقناع أو اقتناع ولا ثالث غيرهما .

بلاد اليونان هى منطقة الاشعاع وسط عالم مظلم وأثينا هى بؤرة الضوء وسط تلك المنطقة وبالتالى فهى تنشر الحضارة على باقى ولايات بلاد اليونان بقوة الطرد المركزى ، وتتلقى الحقد والحسد من جيرانها بقوة الجذب المركزى باعتبارها محط الأنظار . وكانت أثينا بحق هى هللاس هللاس ، أو صفوة الصفوة (وكان اكسينوفون أحد فرسان ذلك العصر ٥٠٠ ـ ٤٠٠ ق.م) . ومثلما كانت آثار الحضارة التى تشعها تصل قوية الى الجيران ثم تزداد أفولا بالتدريج كلما بعد المكان فكذلك كان العداء يصلها قويا من أقرب الجيران وأقل ضراوة من الجيران البعيدين .

من الخارج كان الاغريق جميعا يتصدون لهجوم الاعداء الذى يأتيهم من جهتين من فارس فى الشرق سنة ٤٩٠ فى معركة ماراثون ، وسنة ٤٨٠ فى معركة سلاميس *Salamis* حيث هزم الاغريق الفارسيين وأحرقوا لهم سفن العودة . ومن الغرب اندحرت جيوش الغزاة الذين جاءوا من قرطاجة وكانت هزيمتهم عظيمة فى هيميرا *Himera* فى صقلية لأنها جاءت فى نفس العام الذى انتصر فيه الاغريق فى معركة سلاميس سنة ٤٨٠ ق.م ، ثم هزم الأعداء فى كوماى Cumae فى ايطاليا .

ومنذ ذلك الحين انتابت أثينا، أو الامبراطورية الآثينية ، نوبة من الغرور وقد انتصرت على الفرس ، وازداد حقد جيرانها عليها وتطلعهم الى تبوء مكانتها ، وبدأ صراع رهيب بين أثينا وجيرانها من الجنوب ، الاسبرطيون ، أو البيلوبنيزيون سكان شبه جزيرة المره ، وهم قوم شديدو البأس ، محاربون عتاة كما يدل عليهم اسمهم[٤] *Spartoi* وسرعان ما اندلعت نيران حرب أهلية مريرة عرفت باسم « حرب البيلوبنيز أتت على كل شىء ، وهى التى اعتبرها توينبى Toynbee ـ فيما يقول كوزمنسكى [٥] ـ انهيارا فى حياة الحضارة اليونانية القديمة ، أو السقطة التى كانت سببا فى انهيار الحضارة اليونانية القديمة .

بدأت تلك الحرب ـ حرب البيلوبنيز ـ بين أثينا واسبرطة ، ثم جرت اليها بعد ذلك كل بلاد اليونان فى سنة ٤٣١ ق.م وانتهت فى ٤٠٤ق.م ، وكان مؤرخ هذه الفترة هو ثوكوديديس الذى كان بدوره فى تلك الفترة أحد قواد الجيش الاثينى [٦] ، ثم مات ثوكوديديس دون أن يتم

---

٤ ـ يقول التاريخى الأسطورى لنشأة هذا الجنس ، ان كادموس الفينيقى ، الذى علم اليونانيين أبجديتهم ، عندما بذر أسنان التنين خرج من الأرض رجال مسلحون *Spartoi* (الاشتقاق اللغوى من بذر أى «المبذورون») ، هم أهل اسبرطة .

٥ ـ Y. Kosminski, *Prof. Toynbee's Philosophy of History*, Porgress Pub., Moscow, 1966.

٦ ـ Carleton L. Brown, *Xenophon Hellenica and Anabasis,* L.C.L., London, MCMXXX, Vol. I, p. vii ff.

توقف ثوكوديديس بدأ اكسينوفون ليتم ما كتبه من تاريخ تلك الحرب • ومن حيث تاريخ حرب البيلوبنيز فى الجزء الاول من كتابه « الهللينيكا » أى الفترة من ٤١١ – ٤٠٤ ق•م ، ثم يواصل اكسينوفون بعد ذلك سرد تاريخ بلاد اليونان بعد حرب البيلوبنيز فى الأجزاء الباقية من الكتاب وحتى يصل الى سنة ٣٦٢ق•م، وبذلك يقص الكتاب أحداث خمسين سنة من تاريخ بلاد اليونان •

ونترك ذلك الآن لنستكمل صورة العصر الذى صاغ فيه اكسينوفون كتابيه ، الأناباسيس ، والهللينيكا •

على امتداد ذلك العصر نفسه ، وعلى الطرف الشرقى لبلاد اليونان كان تاج فارس ينتقل من داريوس Dareios الاكبر الذى كان يحكم البلاد ابان معركة ماراثون ، الى ابنه كسركسيس Xerxes الذى كان يحكم البلاد أيام معركة سلاميس ، ماراً بأرتاكسركسيس *Artaxerxes* وبداريوس نوثوس Dareios Nothos الى الابن الأكبر لداريوس واسمه أرتاكسركسيس الثانى، متخطيا بذلك الابن الاصغر كوروس• وقد يبدو الأمر عند هذا الحد طبيعيا – أن يرث الابن الأكبر تاج البلاد قبل الابن الأصغر لولا ان كانت هناك ظروف أخرى •

كان كوروس – كما يروى هيرودوت قصته – شخصية بالغة الغرابة ، ونقرأ عنه فى الانجيل كيف هزم بلشازار Belshazzar الملك البابلى، ونقرأ عنه فى « سفر دانيال ، الاصحاح ٧ » وعن وليمة الملك والنقش على الحائط الذى يقول : « أنت موزون فى الميزان ولم ترجح كفتك » ، وكذلك فى كتاب عشتار Esther حين نلتقى ب اكسركسيس وقصة الملكة فاشتى Vashti » •

وقد لعب كوروس دورا بارزا فى التاريخ اليونانى [٨] ، فقرب نهاية الصراع الذى احتدم بين أثينا واسبرطة ، أقام الاسبرطيون حلفا مع تيسافرنيس *Tissaphernês* وهو الستراب الفارسى على ليديا وأيونيا والقائد الأعلى لكل القوات الفارسية لغرب آسيا الصغرى • وقد كان الطمع من الجانبين هو أساس ذلك التحالف فتيسافرنيس قد قبل هذا التحالف ، طمعا فى أن يستطيع بمساعدة الاسبرطين أن يستعيد السيطرة على المدن اليونانية على الساحل الاسيوى والتى كانت من قبل تحت الحكم الفارسى ثم أصبحت فى ذلك الوقت جزءا من الامبراطورية الاثينية• أما الاسبرطيون فقد كانوا بدورهم يطمعون فى أن ينالوا من تسيافرنيس العون والمساعدة لامداد اسطولهم، ومع ذلك فلم يكن تيسافرنيس بالرجل الساذج ، بل كان سياسيا يحمل وجهين ، نفعى ومنافق ، الىجانب ذلك كان صديقا لألكبياديس *Alkebiades* الاثينى وهو سياسى محنك ذو وجهين أيضا ، حتى لقد سمى الكبياديس الكوثورنوس [٩] الذى أسدى الى صاحبنا نصحه أن من مصلحته أن لا ينتصر جانب على الآخر بل أن يجهد كل جانب الآخر بحروب مستمرة

٧ – J.J. Rouse, *ibid.*, introd.

٨ – Carleton, L., Brownson, *ibid.*, p. 231. X

٩ – سمى الكبياديس كوثورنوس(وكوثورنوس معناها القبقاب الذى يمكن لبسه فى القدمين) لهذا السبب •

ليضعف اليونانيون جميعا أمامه • وعلى ذلك تراجع على الفور وأوقف اعاناته المادية عن الاسبرطيين، وعندما احتج الاسبرطيون لدى الملك الفارسي داريوس الثاني بأن موقف تيسافرنيس يعتبر خرقا للاتفاق بين الجانبين ارسل الملك ابنه الأصغر كوروس سترابا على ليديا بدلا من تيسافرنيس ، وعلى فروجيا الكبرى وكابادوكيا ، وقائدا حربيا لغرب آسيا الصغرى كله [١٠] • وهكذا أصبح كوروس في الحقيقة رئيسا لتيسافرنيس الذي جرد من كل سلطاته العسكرية عدا جزء صغير من منطقة نفوذه السابقة هو أيونيا •

وهكذا وجد كوروس نفسه فجأة في هذه المكانة الخطيرة •• كان ذلك سنة ٤٠٧ ق•م تقريبا ولم يكن كوروس قد تجاوز بعد سنه السابعة عشرة ، وقد طلب اليه الملك أن يخلص العون للاسبرطيين المغلوبين على أمرهم حتى ذلك الوقت • وقد قدم كوروس لهم مساعدات جليلة ربما كان لها أكبر الأثر في أن أحرز الاسبرطيون فيما بعد نصرهم على الأثينيين • وفي هذه الفترة تعرف بالكثيرين من الضباط والجنود اليونانيين وارتبط معهم بعلاقات ومعاملات كثيرة • وقد بقى هؤلاء القواد الاغريق على رأس قوات على أهبة الاستعداد للخدمة في صفوف أي سيد ، الفصل في الأمر يحسمه من يدفع أكثر • كذلك أتاحت له مشاركته في حرب البلوبنيز أن يتعرف على أساليب القتال اليونانية ، وأن يشهد تفوق الجندي اليوناني الهائل على الجندي الفارسي • ثم كانت الحرب التي دامت ربع قرن قد بدأت تطرد بعدد كبير من الضباط والجنود اليونانيين تعودوا الحرب ولم يطيقوا السلم • وقد صادق كوروس هؤلاء

جميعا ومن بينهم كليارخوس [١١] *Kleachos* اللاكيديموني وبروكسينوس صديق كسينوفون وخيريسوفوس *Cheirisophos* الاسبرطي ومينون *Menon* من تساليا وأحد شخصيات أفلاطون في احدى محاوراته •

وقبل انتهاء حرب البلوبنيز بقليل ، أي حوالى ٤٠٥ ق•م استدعى كوروس من آسيا الصغرى ليكون الى جوار والده على فراش الموت[١٢] • لكنه قبل أن يصل تلقى الأخبار بأن أخاه ارتاكسركسيس قد أصدر أمرا بالقبض عليه فور توليه الحكم بعد موت أبيه مما أصل المرارة في نفس كوروس ، فطلب الى أصدقائه اليونانيين حشد كل من يستطيعون من الاغريق ليقوم بحلمة ـ ظل الهدف منها مخبوءا عن الجنود فترة طويلة من رحلة الحملة ، ثم عرف بعد ذلك انها تستهدف تجريد ارتاكسركسيس من تاج الحكم• والسبب في ذلك احساس كوروس بالمرارة المفاجئة حين وصله نبأ البحث عنه لاعتقاله بعد وشاية تيسافرنيس به عند أخيه في الوقت الذي كان يهيىء نفسه لتولى الحكم ، فقد كان أثيرا الى قلب الملكة والملك لأنه الأصغر سنا [١٣] ، ولأنه ولد في القرمز، أي ولد وكان أبوه متوجا على خلاف الابن الأكبر أرتاكسركسيس • ولهذا سابقته ، فقد تولى اكسركسيس ـ قبل ذلك بثمانين عاما ـ الحكم قبل أخيه الأكبر لنفس ذلك السبب •

وعلى امتداد نفس الرقعة الزمنية ، وفي غفلة من تواتر الاحداث وتدافعها اللاهث ، نلمح

١٠ ـ *Anabasis*, I, i, 2.

١١ ـ H.J. Rouse, *op. cit.*

١٢ ـ *Anab.*, I. i. 2.

١٣ ـ *Anab.*, I. i. 4

اكسينوفون واحدا من الذين يشاركون فى صنع الحياة الثقافية فى القرن الذهبى (٥٠٠ ـ ٤٠٠ ق.م) الذى شهد حصاد عبقرية شعراء الدراما والمؤرخين والفلاسفة . وتميز اكسينوفون بسحر خاص يتبدى فى تبسطه فى المحادثة الذى ورثه عن سقراط . وحدث أن طلب اليه صديقه بروكسينوس أن يسافر معه فى حملة كوروس، ووجد اكسينوفون فى ذلك فرصة لقضاء بعض الوقت ، ولمشاهدة بلاد لم يرها. ونصحه سقراط أن يستشير نبوءة دلفى [١٤] أولا ففعل ، لكنه ـ لحرصه على السفر ـ لم يسأل النبوءة هل يسافر أم لا ، بل سألها «أى الآلهة ينبغى عليه أن يقدم لها الأضاحى ليكون حظه أكثر توفيقا فى رحلته» وسافر اكسينوفون مع الحملة وهو لا يعلم ان الحظ يعد له دورا خطيرا فى تلك الحملة وهو لم يبلغ بعد سن الثلاثين . وقد سجل أحداث تلك الحملة فى كتاب الاناباسيس أو « الحملة » على ما ذكرنا .

حملة كوروس
كما يصفها اكسينوفون فى الاناباسيس :

واذا كان لنا أن نستبق الأحداث متعجلين الوصول الى الكتاب الثالث من مؤلف اكسينوفون يشدنا اليه بساطته فى رواية الخبر وسحره فى اختياره أكثر الزوايا اطلالا على الفكرة التى يبغى لفت انتباه قارئه اليها داخل الخبر الذى يرويه ، ثم تمكنه وبراعته فى ترتيب تفاصيل الخبر على نحو يجعل منه كاتبا روائيا فنانا ، اذا تعجلنا الوصول الى الكتاب الثالث من « الأناباسيس » لنعرف كيف اشترك اكسينوفون فى الحملة سنلحظ أنه كان متأنيا صبورا ، فلم يستسلم لاغراءات الرغبة فى الاعلان عن النفس والبحث عن أول مكان فى مؤلفه يسجل لنفسه فيه اشتراكه فى تلك الحملة ، فقد يأتى ذلك المكان وسط أحداث تافهة تضيع وتضيع معها سيرته ، ولكنه ينتظر الى أن يصل الى أكثر اللحظات توترا وأعظمها حرجا والى أن يصل الى أكثر المواقف تعقدا حيث تكون الأحداث عند ذروة الخطورة وقد اغتيل قواد الحملة ليظهر فى هذه اللحظة منقذا ومخلصا بعد أن طال بنا الشوق الى معرفة كيف يكون الخلاص من تلك الورطة ، ثم هو قد اختار لنفسه الكتاب الثالث ـ وسط العقد ـ ليروى فيه قصة اشتراكه فى الحملة . نكاد وقد فرغنا من قراءة الكتب السبعة نحس أننا قد كنا صيدا لذلك الماكر اكسينوفون ألقى حولنا شباكه حين أوهمنا أنه كاتب موضوعى فانسقنا معه ، واذا بنا فى الكتاب الثالث ـ وقد قطعنا نصف الرحلة معه ـ نكتشف ان الكتابين الاول والثانى وما ينطويان عليه من أحداث جسام قد كانا فى الحقيقة مقدمة لسيرة اكسنوفون أو مدخلا اليها . تريث لحظة ، لا تخدعك حيله ، انه يتحدث عن نفسه بضمير الغائب وكأنه شخص آخر ليوهمك بأنه كاتب موضوعى ـ وقد كان حقيقة كاتبا موضوعيا فى أغلب رواياته ـ لكن اياك أن تنطلى عليك هنا موضوعيته المشبوهة ، واقرأ ما يقول عن عدم امتثاله لنصح سقراط وتحايله على نبوءة دلفى واصراره على الاشتراك فى الحملة ، ولا يفوتك أن تلحظ أيضا كيف يظهر فجأة وكيف يجىء هذا الظهور فى ذروة الأزمة (ك٣ ف١ س١) : « وبعد أن وقع القادة فى الأسر وكذلك كبار الضباط والجنود الذين كانوا فى رفقتهم ولقوا حتفهم جميعا ، كان طبيعيا أن يجد الاغريق أنفسهم فى غمار حيرة مربكة،

١٤ ـ *Anab.*, III, i.

ونهبا لأفكار مضنية ، فهم يقفون على أبواب الملك وهم محاطـــون من كل جانب بقبائل معـــادية لا تحصى ومدن لا تعد ، وليس ثمة من منقذ يمد لهم يد العون فيما يحتاجون اليه من مؤن بعـــد ذلك ، وانهم بعيدون عن بلاد اليونان بما لا يقل عن عشرة آلاف ستاديا (الاستاديون = ٢٠٢ ياردة ، والمسافة كلها تساوى حوالى ١٦٠٠ كيلو متر) وأن ليس لهم من مرشد يدلهم على الطريق وأنهم محاصرون من كل جانب بأنهار يستحيل عبورها تسد عليهم خاصة طريق العــودة ، أن الأجانب الذين قاموا مع كوروس ومعهم بهـــذه الحملة قد خدعوهم ووشوا بهم ، وأنهم قـــد تركوا وحيدين ، ولم يعد بينهم فرس واحـــد بعينهم ، حتى لقد أصبح الأمر واضحا أمامهم على هذا النحو : ان هم أرادوا النصر فليس بوسعهم أن يقتلوا رجلا واحدا (من الأعداء) ، وان كان لا مفر أمامهم من الهزيمة فلن يبقى واحد على قيد الحياة . وهم وقد عجت عقولهم بتلك الأفكار وعربد بنفوسهم اليأس واستبد ، راح قليـــلون منهم يتشممون الطعام في عـــزوف عندما حل المساء ، وقليلون يوقدون نارا ، وكثـــيرون لم يرجعوا تلك الليلة الى ثكناتهم وانما رقدوا حيث تصادف لكل منهم أن كان ، وقد فر منهم النوم بعد أن طواهم الحزن وأضناهم الشوق الى وطنهم وأهلهم ، الى زوجاتهم وأطفالهم الذين بدا لهم انهم لن يرونهم بعد الآن مرة أخرى . تلك كانت حالهم حين خلدوا الى الراحة .

وكان بين أفـــراد الجيش رجل اسمـــه اكسينوفون ، أحد الأثينيين ، ولكنه سافر مـــع الحملة لأن بروكسينوس ، أحد أصدقائه منـــذ فترة طويلة ، كان قد أرسل اليه في داره دعوة الى مرافقته ، ووعده بروكسينوس كـــذلك ان وافق على السفر معه ، أن يقدمه ويوثق صداقة حميمة بينه وبين كوروس الذى يعتبره أعـــز لديه من وطنه نفسه . وبعد أن قرأ اكسينوفون رســـالة بروكسينوس التقى بســـقراط الأثينى وناقشه فى أمر تلك الرحلة ، ونصح ســـقراط اكسينوفون ، وهو يخشى لو أصبح اكسينوفون صديقا لكوروس أن يكون ذلك سببا فى تهمـــة تدين اكسينوفون من جانب الحكومة الأثينيـــة ، والسبب فى ذلك ان اعتقـــادا كان قد ساد بأن كوروس قد حرص كل الحـــرص على تقديم أعظم المساعدات للاسبرطيين فى حربهم ضـــد أثينا ، نصح سقراط اكســينوفون أن يتوجه الى دلفى ليستشير الاله فى أمر تلك الرحلة . وقد ذهب اكسينوفـــون وسأل أبوللو ، الى أى اله ينبغي عليه أن يقدم القربان ويزجى الصـــلاة ليعينه على أن تكون رحلته موفقة كل التوفيق ، وأن يعود آمنا الى وطنه بعد أن تكون قد صحبته السلامة وأصابه أسعد الحظوظ . وقـــد أجاب الاله ابوللو عن سؤاله ودله على الآلهة التي ينبغى أن يقدم لها الأضاحى . ولما أن عاد اكسينوفون من دلفى قص على سقراط النبوءة . فكشـــف له صاحبنا خطأ تردى فيه اكسينوفون . فهـــو لم يسأل (الاله) أولا ما اذا كان الخير فى أن يذهب أم فى أن يبقى ، وانما هو قد قرر لنفسه أولا أن عليه أن يذهب ثم هو قد سأل الاله بعد ذلك عن أفضل السبل الى الرحيل . ومع ذلك أضـــاف سقراط : « وما دمت قد طرحت السؤال على هذا النحو ، فلا عليـــك الا أن تفي بكل ما أشار به الاله . »

ويصف اكسنوفون بعـــد ذلك كيف لحق

بصديقه وكيف خدع وغرر به مثلما غرر بباقي الجنود ومع ذلك واصل السير مع الحمـلة • ويعود مرة أخرى الى اللحظة التي كان قد بدأ بها هذا الكتاب ، الى الورطة التي ألمت بالجنود وقد قتل القـواد • (ك٣ ف١ س١١) « والآن وعندما ألمت الحيرة (بالجنود) طوى الحـزن روحه (اكسينوفون) مثله كمثل سائر الجنـود وعجز عـن اقتناص النـوم ، لـكنه عندما غمض جفنه أخيرا بعـض الوقت جاء حـلم • رأى (فيما يرى النائم) الرعد والبرق يصعقان بيت أبيه فيتوهج بالنار ، وهب في الحـال من نومه وقد تنشب في قلبه خوف عضب وفسر الحلم من أحد الوجوه بأنه رؤية ، وبأنه في غمار المصاعب والمخاطر أرسل اليه زيوس بهذا الضوء الوضاء، ولكنه عندما فسره على وجه آخر ارتعد ، لأن الحلم قد أتاه من عند زيوس اله الصواعق فلا بد وأن كل شيء سيصلى ويتوهج بتلك النار » •• « عندئذ استيقظ ، وكخطوة أولى ، جمع قـواد بروكسينوس ، وعندما اجتمعوا قال لهم : « أيها السادة انني جد عاجز عن النوم ، مثلكم تماما فيما أتصور ، ولست بقادر على الركون الى السكينة أكثر من هذا ، عندما أتأمل أي شرك وقعنا فيه» وقد تابع اكسينوفون بعد ذلك دقائق الأحـداث وحتى أصبح قائدا للحملة في رحلة العـودة ، ولا يعنينا هذا الآن فسيأتي الحديث عنه تفصيلا ، انما يعنينا أن نقف على الاسـلوب الذي قدم به اكسينوفون نفسه الينا والظـروف التي أحاطت باشتراكه في الحملة ونعـود سريعا الى بداية « الاناباسيس » وبداية القصة ، وقد عرفنا مسبقا أن اكسينوفون ــ مؤلف هذا التاريخ ــ كان واحدا من بين هؤلاء الذين يتحدث عنهم ، فان تحـدث عنهم فهو يتحدث عن نفسه أيضا واحدا منهـم

وسنلحظ كيف تأتي رواية الوقائع من عين راء ذكي شديد الملاحظة •

يروى اكسينوفون قصة كوروس وأسـباب الحملة من أولها بادئا من السطر الاول من مؤلفه عن الحملة (ك١ ف١ س١) : « والآن فعندما رقد داريوس طريح الفراش وقد ألم به المرض، وعندما تشوف نهاية حياته تدنو ، فقد رغب في أن يكون ولداه الى جانبه ، وحدث أن كان الابن الاكبر الى جواره بالفعل في ذلك الوقت ، أما كوروس فقد أرسل الى استدعائه من ولايته التي كان قد نصبه سترابا عليها ، وجعله قائدا لـكل القوات المرابطة في سهل كاستولوس ، وعلى ذلك فقد رحل كوروس وفي رفقته صديقه تسافيرنيس ومصطحبا معه ثلاثة آلاف من الهوبليتاى (الجنود حاملى الاسـلحة الثقيلة) الاغريق يقـودهم اكسيناس من باراسيا •

وعندما أسلم داريوس روحه ، وأصـبح أرتاكسركسيس خليفة الملك ، أسرع تسافيرنيس ليشي بكوروس ، افتاتا ، عند أخيه الملك ، مدعيا انه كان يتآمر عليه•ولما أن صدق أرتاكسركيسس الوشاية قبض على كوروس بنية اعدامه لولا ان تشفعت له أمه ، وأعادته الى ولايته • والآن وقد عاد كوروس ، بعد أن تربص الخطر بحيـاته ، وأفعمت روحه مرارة الازدراء راح يتدبر الأمر، لن يتاح له ما أتيح لأخيه (من قوة) ولهذا ، ان استطاع ، فليكن ملكا بدلا منـه ، وقد كانت باروساتيس الأم تحابى كوروس وتهبه كل حب وحدب مؤثرة اياه على أخيه الذى أصـبح الآن ملك (البلاد) ولا شك انها ستسانده » •

وقاد كوروس الحملة ، وحيثما سار كان يتلقى العـون من المؤن والرجال ، فبدأ سـيره من

ســـاردیس Sardis الى نهـــر مايندروس ومدينة كولوساى متقدما عبر لوكاؤنيا Lycaonia وكابادقيا Cappadocia عبر جبل مونت تاوروس والممر المعروف بـــوابات كيليكيا ، وقد بعث بمينون عن طريق آخر ليوهم حراس الفـــرس بأن الحملة تعود أدراجها • ويضطر كوروس هنـــا الى التصريح بالسبب الحقيقى للحملة • ويصف اكسينوفون موقف الجنود من كوروس فى هذه اللحظة فى الكتاب الاول من الاناباسيس (الفصل الرابع سطر ١١ وما بعده) : « وجمع كوروس قواد الاغريق وأخبرهم أن المســيرة يجب أن تتجه الى بابل ، ضـــد الملك العظيم ، وأشار عليهم ، تبعا لذلك ، أن يتولوا توضيـــح ذلك للجنود وأن يبذلوا غاية جهدهم لاقنـاعهم على اتباعه • وعلى ذلك فقد عقد القواد اجتماعا أعلنوا فيه هذا الامر ، وثارت ثائرة الجنـــود وغضبوا من القواد قائلين انهم كانوا على عـــلم بذلك منذ وقت طويل وانما أخفوه عنهم ، وأبعد من ذلك انهم رفضوا أن يستمروا فى رحلتهـم مالم يعطوا نقودا ليتساووا بالرجال الذين رحلوا مع كوروس من قبل عندما ذهب لزيارة أبيـــه وتلقوا الهدايا والعطاء رغم انهم كانوا يســـيرون لا الى معركة بل لأن أباه قد استدعاه لزيارته • ونقل القواد هذه المطالب الى كوروس الذى وعد بأن يعطى كل رجل خمسة ميناى (= حـوالى عشرة جنيهات) من الفضة عندما يصلون بابل وبأن يدفع كذلك اجورهـم كاملة وحتى يرجع بالاغريق الى أيونيا فى رحلة العودة •

وبهذه الوعود اقتنع الجزء الأكبر من الجيش اليونانى •

أما بالنسبة لمينون ، وقبل أن يتضح له مايمكن أن يكون الجنود الآخرين قـــد فعلوه ، ما اذا كانوا قد تبعوا كوروس أم لا ، فقد جمع قواته الخاصة بخلاف الآخرين وتحدث اليهم هكذا :

« أيها الجنود ، ان أنتم أطعتمونى فأنتم جديرون بتقدير كوروس وتكريمه لكم فوق سائر الجنود وما عليكم أن تبذلوا جهدا أو تواجهوا خطـراء فبماذا أنا آمركم ؟ فى هذه اللحظة (أتصور) كوروس يرجو الاغريق أن يتبعوه ضد الملك ، وخطتى ، اذن ، أن عليكم أن تعبروا نهر الفرات قبل أن تتضـــح اجابة باقى الاغريق على رجاء كوروس • فان هم أطاعوه وقرروا أن يتبعـــوه فسيكون لكم أخيرا المفخرة والحظـــوة بأنكم أصحاب الفضل فى هذا القرار لأنكم أنتم الذين بدأتم العبور ، ولن يشعر كوروس لكم بالعرفان والامتنان فحسب ، وقد وجدكم أشد الناس حدبا عليه وتحمسا لقضيته ، بل سيرد الفضل بأفضل منه ــ وهو يعرف كيف يفعل ذلك ، ومن ناحية أخرى ، اذا رفض الباقون أن يتبعوه فسوف نعود جميعا أدراجنا ، ولكنكم ، وأنتم وحدكم الذين أطعتموه ، ستكونون رجاله المقربين ، ليس فقط فى أعمال الحراسة الخاصة (وهى خدمة سهلة) بل فى القيادات وفيما أنتم راغبون فيه غير ذلك، أعرف انكم ــ كأصدقاء لكوروس ، ستكونون فى مأمن منه » • ولما ان سمع منه الجنود هـــذه الكلمات اقتنعوا وعبروا النهر سريعا قبل أن يعطى الباقون اجابتهم ، وعندما عرف كوروس انهم قد عبروا ، تطاير فرحا وأرسل جلوس *Gleus* الى القوات بهذه الرسالة « أيها الجنود ، اليوم أحييكم وأثنى عليكم ، ولكننى سأبذل قصـــارى جهدى كى تجدوا فى شيئا أستحق عليه ثناءكم،

والا فلست كوروس بعد اليوم • » ولهذا قوى الأمل فى نفوس جنود مينون وتوجهوا بالدعاء له أن يشمله التوفيق ، بينما أرسل كوروس الى مينون نفسه أروع الهدايا • بعد ذلك تقدم كوروس لعبور النهر وتبعه باقى الجيش الى آخر رجل ، وفى هذا العبور لم يبتل رجل واحد لما فوق صدره بماء النهر • ويقال ان هذه هى المرة الوحيدة التى تم فيها اجتياز هذا النهر سيرا على الأقدام ، فلم يعبر بعد ذلك الا بالقوارب » ••• « ويبدو أن العناية الالهية قد تدخلت وأن النهر قد تراجع وانحسر بوضوح أمام كوروس ، لأن قدرا مسطورا كان قد خط بأن يصبح كوروس ملكا • • »

وتتقدم الحملة فتجتاز أراضى سوريا الى أن تصل الى نهر اراكسيس Araxes « وهنا يجدون قرى كثيرة مليئة بالحبوب والنبيذ فيبقون هناك ثلاثة أيام ثم يستكملون مؤنة الجيش ويتقدمون عبر الصحراء العربية مسترشدين بنهر الفرات الذى جعلوه الى يمينهم • • » وقبل أن نمضى مع مسيرة الحملة لا يفوتنا أن نرصد من الجزء الذى تقدم براعة اكسينوفون فى نقل الواقعة ، انه ليس بالمؤرخ الذى يسجل ويكتفى بالتسجيل ، فى سنة كذا حدث أن •• فحسب ، كما أنه لا يكتفى بالوصف ونقل الواقعة كما شهدها ، انما هو يغوص الى أغوار النفس ويخرج الى السطح وقد أمسك فى قبضته بكل ما يعتمل بتلك الأغوار ليبسطه أمامنا ولعل لميوله الفلسفية يرجع هذا المنهج الذى مزج فيه بين التاريخ والتحليل النفسى ، ثم هو يحدد أولا مكان الحدث وشخوصه ، ويترك هؤلاء يحدثونك بلغتهم وبنفس الكلمات التى خرجت من أفواههم من قبل ، فان كان الحوار أقدر على تجسيد الواقع لجأ الى الحوار ، وان كان السرد لجأ الى السرد ، وهو بانتحائه هذا المنحى يمازج بين عمل الأديب ومهمة المؤرخ ، وستجد فى النهاية أن الكتاب الذى بين يديك هو كتاب فلسفة ونموذج من أدب الرحلات وكتاب حرب الى جانب انه كتاب تاريخ ، ولعل استخدام اكسينوفون « للكلام المباشر » يرجح أن يكون صاحبنا قد كان يدون ما يراه أولا بأول •

وكمثل آخر اقرأ هذا الوصف الذى يقدمه اكسينوفون للصحراء العربية « فى هذه المنطقة (ويلاحظ أيضا استخدامه لكلمة هذه وليس تلك بما يرجح انه كان يكتب عن هذا المكان وهو فيه) الأرض سهل منبسط لا يكسر انبساطه نتوء ، كأنه سطح البحر ، يغص بشجيرات الشيح ، وكل ما تراه فى السهل من حلفا وغاب يفوح بالعطر دائما كالطيب • لم يكن ثمة من شجرة بل حيوانات برية من كل نوع ، عدد هائل من الحمير الوحشية وكثير من النعام الى جانب النغل والغزلان • أحيانا ما كان الفرسان يتمكنون من صيد بعض هذه الحيوانات • أما عن الحمير فحين يتقصد فارس صيدها فانها تجرى ثم تتوقف ـ لأن الحمير الوحشية تعدو أسرع من الخيل ـ وعندما تقترب منها الخيل تعاود الجرى ثم التوقف وهكذا ، وكان من المستحيل الامساك بها ما لم يختبىء لها الفرسان وينقضوا عليها وقت راحتها • وكانت لحوم ما يصطاد منها كلحم الغزلان ، بل أشهى منه • ولم يحدث أن استطاع فارس أن يمسك بنعامة ، وكل من أمسك بواحدة سرعان ما كانت تفلت منه • وكثيرا ما كانت تجرى

بعيدا بطيرانها فتتسع المسافة بينهما • ولم تكن وسيلتها أن تثنى ساقيها فحسب ، بل كانت تستخدم جناحيها كذلك كشراع »

وعند ايسوس Issos ينضم خيريسيفوس الاسبرطى ومعه ٧٠٠ رجلا • ويصل عدد جنود كوروس الآن الى ١٢،٩٠٠ جنديا من الاغريق، ١٠٠،٠٠٠ من الفارسين • وكانوا جميعا لا يتوقعون أن يحارب الملك ، لكنه يظهر أمامهم فجأة عند كوناكسا Cunaxa على بعد ٥٠ ميلا من بابل • وكان تشكيل جيش كوروس على النحو التالى : كليارخوس *Klearchos* قائدا للجناح الأيمن وكله من الأغريق ويقف بهم فوق الفرات • كوروس قائدا للوسط ،وأريايوس Ariaios الفارسى قائدا للجناح الايسر •

ويصف اكسينوفون بعد ذلك كيف هجم الاغريق،انطلق جناح كليارخوس الأيمن وأطلق الجنود الصيحات ليطعنوا بالرعب قلوب الفارسين الذين ولوا الأدبار هاربين دون أن يقتلوا رجلا واحدا • أما كوروس فقد كان طوال الوقت يعد ٦٠٠ من أقرب الجنود اليه ، من « رفقاء المائدة » كما يسمون، ووقف يرقبظهور أرتاكسركسيس فى الوسط ، ونعرف بعد ذلك انه عندما يلمح الملك يصحيح : « اننى أرى الرجل » ويندفع اليه مع جنوده مسددا ضربة قاتلة ، لكنه فى نفس اللحظة يلقى رمحا فى عنه يصيب منه مقتلا لينهى صراع كوروس مع أخيه هذه النهاية الدرامية المفجعة بما يعيد الى أذهاننا قصة الأخوين بولينيكيس وايتيوكليس ولدى أوديب واللذين اقتتلا على أسوار طيبة وقتل كل منهما الآخر فى نفس اللحظة •

كان بوسع الأغريق أن يمكثوا حيث هم وأن يصبحوا خطرا يتهدد فارس،لكن كليارخوس يتقدم الى أريايوس الفارسى يعرض عليه أن يأخذ مكان كوروس ويعده بأن يساعده على الوصول الى العرش فلا يقبل أريايوس خوفا من نقمة الفرس ويعرض اقتراحا بديلا بأن يدل الاغريق على مخرج من هذا المكان الذى تمزقه القنوات المائية ، وأن يقودهم الى رحلة العودة • ولم يفعل الفارسيون شيئا لمواجهة فورية للاغريق سوى انهم أغاروا على معسكرهم وسرقوا مؤنتهم من مأكل وشراب • ثم أرسل الفارسيون تسافيرنيس، الستراب الفارسى والسبب الحقيقى فى كل هذه المصائب ، الى معسكر الاغريق عارضا عليهم الصلح والصداقة ، بينما هم فى الحقيقة يدبرون لمكيدة • ويلتقى تيسافرنيس بكليارخوس ويعقد معه مؤتمرا أبدع فى وصفه اكسينوفون • وقد نقل الينا اكسينوفون أقوال كل فريق من الاغريق والفارسيين نقلا حرفيا كأنها « محضر جلسة » • وأغلب الظن أن الخطب التى جرى بها قلم اكسينوفون هى صياغة جديدة لأقوال القواد دبجها اكسينوفون بنفسه أى أنها ليست بالتسجيل الحرفى • فالمنطق الذى يحكم الفكرة الواحدة والذى تنتظم وفقه الأفكار متجاورة على نحو يفرض اقتناع السامع بها وان كانت فى غير صالحه، وقوة الحجة ، والأسلوب الأدبى الذى لا يمكن أن يكون قد انطلق عفو الخاطر وانما جاء بعد تريث وتفكير ثم تقديم وتأخير ، كل هذه شواهد لعلها تقطع بأن اكسينوفون قد أعاد صياغتها حتى لا تكون الرقعة الأرجوانية فى عمله • وفى نهاية الاجتماع يقبل كليارخوس دعوة تيسافرنيس الى عقد مؤتمر موسع داخل الأراضى الفارسية •

وبعد تبادل الزيارات يخرج كليارخوس ذات مرة ومعه بروكسينوس ومينون وأجياس *Agias* وسقراط الآخي ، ومعهم عشرون قائدا ومائتان من الجنود • ووصلوا أبواب تيسافيرنيس ،وفتحت الأبواب لكبار القواد الخمسة وانتظر القواد العشرون والجنود خارجها • أما القواد الكبار فقد ألقى القبض عليهم للادلاء بخططهم قبل أن يقتلوا، وأما القواد والجنود فقد انطلقت عليهم كتائب الفرسان من الفرس تطيح رقابهم لا تدع عبدا ولا حرا •

ويجد الاغريق أنهم قد وقعوا في ورطة ، ومزقهم اليأس على نحو ما رأينا في بداية الكتاب الثالث •

عندئذ يظهر اكسينوفون الذي يبحث عن أحد ضباط صديقه بروكسينوس ويقنعه بأن لا سبيل الى النجاة الا بالحرب • ويعقد مؤتمرا يدعى اليه القادة ، ويتم الاتفاق على التقهقر قليلا والتحصين في نيمرود Nimrud ومسبيا Mespia وهما مدينتان محاطتان بالأسوار • وظل الفارسيون يهاجمونهم عن بعد ، لكنهم كانوا يخشون الالتحام • واجتمع اكسينوفون والقواد واتفقوا جميعا على الاتجاه نحو الشمال عبر أراضي الكرد الى أرمينيا • ويصف اكسينوفون عرضهم العسكري معلقا بأنهم كانوا ممثلين بارعين يؤدون دور المحاربين الشجعان ، ومر الجنود اليونانيون بمغامرات قاسية وسط الجبال والثلوج الى أن وصلوا أخيرا سهول ارمينيا حيث نعموا لوقت بالراحة وأحاطوا بينابيع التيجريس • ثم مرت حياتهم بعد ذلك بمخاطر ظنوا معها أنهم هالكون لا محالة • وبعد أن فقدوا كل أمل في الحياة ،

بدأ يشدهم الى بعضهم البعض حب مفاجيء ونوبات من العطف غير المبررة الى أن لاحظوا هرجا فوق أحد التلال • وجرى اكسينوفون — فيما يروى عن نفسه — لاكتشاف ما يجرى هناك، فرأى رجلا يتبع رجلا آخر يندفعان صائحين ، وعندما اقترب منهما سمعهما يقولان : «البحر •• البحر » •

أصبح الاغريق الآن — بفضل اكسينوفون — على مقربة من مستعمراتهم ، وفجأة — وقد أصبحت حياتهم في مأمن وضمنوا العودة — يتقاتلون ويتقاذفون الشتائم في نوبات غير مبررة أيضا •

كانوا الآن عند تريبيزوند Trebizond ومع ذلك فقد مر عام كامل قبل أن يستقر الجيش تماما، وكان عليهم أن يبحروا عبر البحر الأسود، ومن ثم أمامهم مغامرات كثيرة • سار اكسينوفون أخيرا برا الى كيراسوس Cerasûs ، ثم أعاد استعواض الجنود وكان عددهم الآن ٨٫٦٠٠ جنديا، وعبروا وطن الموسونويكو Mossynoicou الذين يعيشون في أعشاش في أعالي الأشجار • وفكر اكسينوفون في اقامة مستعمرة يونانية في هذا المكان لكن الرأي قر في النهاية على العودة، واختار الجند اكسينوفون قائدا لهم لكنه اقترح خيريسوفوس الاسبرطي بدلا منه لكي لا يقلل من أهمية الاسبرطيين • ثم سرعان ما مات خيريسوفوس بالحمى وآل الأمر الى اكسينوفون— الذي حاول أن يصور الأمر وكأنه قد فرض عليه رغما عنه — ليعود بهم الى بلادهم •

وقد أثارت الأناباسيس جدلا كثيرا انصرف في

أغلبه الى تاريخ صياغته والى منهج اكسينوفون فى كتابة التاريخ • فمن قائل ان اكسينوفون قد كتب قصته عن تلك الحملة مستعينا بملاحظات كان يدونها أولا بأول أثناء الحملة ، ومن قائل انه بدأ صياغتها وتدوينها فى وقت كانت الأحداث لاتزال حية فى ذهنه ووجدانه ، ويشهد بذلك مثلا الأسلوب البسيط الذى يحمل خصائص النتاج المبكر للكاتب • ومن الناحية الأخرى فان اقحام اكسينوفون لنفسه ولسيرته الذاتية ـ فى الكتاب الخامس ، أو الجزء الخامس [١٥] ، يشير الى تاريخ كتابته بأنه كان فى وقت متأخر يرجع الى سنة ٣٧٠ ق•م• وعندما يشير اكسينوفون الى هذه الحملة فى جزء من « تاريخ بلاد اليونان » « الهللينيكا » [١٦] الذى كتب حوالى سنة ٣٨٠ ق•م فانه يحيل قارئه ـ ان شاء مزيدا من التفاصيل ـ الى تاريخ حملة كوروس الذى كتبه ثيميستوجنيس• Themistogenes السيراكوزى وهذا يعنى أنه لم يكن قد دون بعد كتابه عن الحملة «الأناباسيس» حتى ذلك الوقت • ويفهم من هذا كله ـ فيما يرى ـ كارلتون [١٧] ـ ان اكسينوفون كان قد دون الأناباسيس عقب عودته من آسيا الصغرى مباشرة فى سنة ٣٩٤ لكنه لم ينشرها حتى سنة ٣٧٠ ق•م ، وربما أراد اكسينوفون أن يؤخر نشر عمله الى سن متأخرة تحرجا من الجزء الذى كتبه عن نفسه •

وقد كان لما كتبه اكسينوفون عن تلك الحملة أهمية قصوى ، فهو قد نقل صورة حية وصادقة جعل لليونانيين من هذه الصورة مكانا فريدا • فقد كشفت تلك الكتابة عن أروع القيم التى تحلى بها الجندى اليونانى من شجاعة وتحمل وتقوى وصبر وانسانية واستقلال وعقل • هم جنود بحق وقت الشدة ، وهم اغارقة بحق حين يناقشون ويصرون على أن تصل كلمتهم ، وعلى أن يقتنعوا أو يقنعوا ، وبأن يؤخذ برأيهم حين يكون صوابا • حتى لقد أطلق على هذه المجموعة من الاغريق أسماء منها انهم«ديموقراطية متحركة» « جمهورية متجولة » ، خلاصة من عظمة أثينا تقف شاهدا فى وسط آسيا ، وقد بلغ من اخلاص اكسينوفون فى نقل المعارك حية فى كتابه حدا جعل أحد الدارسين للعلوم العسكرى يكتب[١٨] : « ولا شك أن الجندى الذى أفادنا أعظم فائدة والذى سبق الاسكندر هو اكسينوفون ، انه هو الذى أطلع العالم كيف ينبغى أن يكون تكتيك الانسحاب وكيف يمكن قيادة المؤخرة • والآن وبعد أن مر ثلاثة وعشرون قرنا فليس ثمة من نص حربى قديم غير الاناباسيس •

الهللينيكا :

ونعود مرة أخرى ـ مع عودة اكسينوفون ـ الى أثينا وأواخر القرن الخامس ق•م والى حرب البيلوبنيز وصراع اسبرطة ضد أثينا ، ثم صراع طيبة ضد اسبرطة • وعلى أعتاب تلك الفترة ينتظرنا ثوكيديديس ليقود الطريق أمامنا على خريطة الأحداث • طريقك ليس مكانيا بل هو

١٥ ـ *Anab.*, V, iii, 7-13.

١٦ ـ *Hellenica*, III, i, 2.

١٧ ـ Carleton L. Brownson, *ibid.*, Vol. II, p. 237.

١٨ Col. Theodore A. Dodge, *Alexander*, pp. 101 ff. apud : Carleton L. Brownson, *ibid.*, Vol. II, p. 237.

المسار الزمنى الذى جرت عليه الأحداث ، وأما المكان فسوف تحمله فى ذاكرتك وعليك أن ترصد وقع الأحداث وما تتركه من آثار عليه • سيقدم لك ثوكيديديس صور المكان أولا بأول كلما حدث تغير فى مساحة الأرض أو فى ظروف الناس فوقه • تأمل الصورة الأولى جيدا فهى عزيزة عليه ، وانتبه الى عظمة أثينا ، الى بروجها الشامخة من الفن والأدب ، وتأمل أسوار المدينة الطويلة ، فيوما ما ستنهار هذه الأسوار ، ستضع الحرب أوزارها عند هذا الحد ـ فيما يرى ثوكوديديس (ك ٥ ف ٢٦) ـ فلا تبتهج ، انه نذيرسوء، وسنفترق عند هذا الحد وثوكيديديس، فالسقوط الحقيقى لم يكن تهدم الحوائط بل كان سقوط بروج المجد وانطفاء مشاعل الفن والأدب والفكر ، سقوط الحضارة كما يرى توينبى • يتركنا ثوكوديديس ـ ونحن لم نصل بعد الى نهاية حرب البيلوبنيز ـ عند عام ٤١١ ق•م• ويأتى فجأة اكسينوفون ليتم معنا طواعية وعن طيب خاطر رحلتنا مع أحداث حرب البيلوبنيز وحتى سنة ٤٠٤ ق•م ولهذا يبدأ كتابه بهاتين الكلمتين : « وبعد هذا ••• » ، ثم يواصل بنا السير ليتم نصف قرن ، فيصل الى سنه ٣٦٢ ق•م• انه لا يرى أن الحرب قد انتهت سنة ٤٠٤ كما يقول ثوكيديدس ، بل هو يرى أن الحرب الحقيقية قد بدأت بعد ستة شهور من توقف حرب البيلوبنيز متمثلة فى الفساد الداخلى الذى ظهر فى أثينا فى ظل حكومة الثلاثين فى الفترة مابين عامى ٤٠٤ ـ ٤٠١ ق•م ثم حروب الاسبرطيين ، والحرب الكورنثية وتلاحق الازمات وانتشار الخيانة والعقم وهكذا الى أن يصل الى نصر طيبة الخاسر ، أو خسارتها الظافرة حين كسبوا المعركة وفقدوا القائد العظيم • وهنا يصل الى سنة ٣٦٢ ويتوقف •

يقول عن الفساد الذى حل بأثينا بعد الحرب سنة ٤٠٤ وحتى سنة ٤٠١ ، (تاريخ اليونان ، ك٢ ف٣ س١١ وما بعده) : « والآن فقد تم انتخاب الثلاثين (فى أثينا) بمجرد أن سقطت الأسوار الطويلة والأسوار التى تحيط بپيرايوس ، وبرغم انهم كانوا منتخبين ، فهم مع ذلك ـ فيما يتعلق بصياغة دستور تخضع له الحكومة ، قد كانوا دائما يؤجلون صياغة الدستور واعلانه ، وبدلا من ذلك عينوا أعضاء للجمعية العمومية (البولى) وباقى الموظفين حسبما تراءى لهم انه الأصلح • ثم ، كخطوة أولى ، القوا القبض على أشخاص وزجوا بهم الى محاكمة تتصيد لهم التهم مستهدفة اعدامهم ، لأنهم ، وهم لم تتوفر لديهم غير المعلومات العادية ولم يقدموا غيرها ، كانوا يتكسبون معيشتهم فى زمن الديموقراطية بأن عملوا مخبرين،ومن ثم أساؤا الى الأرستقراطيين، وكم كان أعضاء الجمعية (البولى) سعداء بأن يعلنوا حكمهم بادانة هؤلاء ، ولم يكن باقى المواطنين ـ على الأقل كل الذين أدركوا انهم ليسوا من هذا النوع ـ لم يكن هؤلاء المواطنين يبدون أقل شعور بالاستياء • ومع ذلك فعندما بدأ الثلاثون يتدبرون كيف تتاح لهم الحرية أن يفعلوا مايطيب لنفوسهم فى شئون الدولة ، كان أول ما فعلوه أن أرسلوا ايسخينيس *Aeschinês* وارسطو الى لاكيديمون ليقنعا لوساندروس *Lysandros* بمساعدتهم فى استجلاب فيلق اسبرطى يبقى الى أن يتمكنوا ـ فيما قالوا ـ من اكتساح«الأوغاد» من طريقهم ويقيموا حكومتهم ، وقد وعدوا بأن يتكفلوا بكل مستلزمات هذا الفيلق على نفقتهم

الخاصة • ووافق لوساندروس وساعدهم على الحصول على مجموعة من القوات وعلى كاللبيوس كحاكم • ولكنهم عندما حصلوا على الفيلق راحوا يتفانون فى اظهار الود لكاللبيوس بكل وسيلة لكى يجاريهم فيما يفعلون ويقره ، ولما أمر لهم بحراس يتبعونهم حيث يذهبون ، راحوا يلقون القبض جزافا على كل من أرادوا النيل منه ـ ليس الآن « الأوغاد » والتفهاء ولكن منذ ذلك الوقت فصاعدا على رجال ، هكذا داخلهم الشك، كانوا آخر من يستسلم للتجاهل ، وبوسعهم ، ان أرادوا الاعتراض ، أن يجمعوا من حولهم أعدادا كبيرة تنتصر لهم •

فى بداية الأمر كان كريتياس وثيرامينيس *Theramenês* على وفاق ووئام فى سياستهما، ولكن عندما أظهر كريتياس شغفه بالقتل الجماعى، لسبب واحد هو أنه كان قد نفى وقد لفظته الديموقراطية ، تصدى له ثيرامينيس قائلا انه ليس من العقل ان تعدم رجلا لا لسبب الا لأن عامة الناس تقدره وتحترمه متعللا بأنه لم يتصوب الارستقراطيين بسوء ، «لأن» هكذا قال ، «كلانا، أنا وانت ، قد قال وفعل الكثير تلهفا وتكالبا على كسب ود المدينة » •

« ولكن عندما أصبح من الواضح ـ وقد توالى تضاخم عدد الأبرياء الذين أعدموا ـ أن كثيرين يتجمعون وقد استولت عليهم الدهشة والحيرة ما يكون من مصير الدولة بعد ذلك ، تحدث ثيرامينيس من جديد قائلا انه ما لم يسمح لعدد مناسب من المواطنين بالمشاركة فى ادارة شئون البلاد فلسوف يكون من المحال على الأوليجارخيين أن يتحملوا • وعلى ذلك راح كريتياس وآخرون من الآثينيين ممن قضت مضاجعهم فزعا وارعبهم أكثر من أى شىء آخر أن يلتف المواطنون من حول ثيرامينيس ويناصرونه ، راح هؤلاء يدونون فى السجلات أسماء ثلاثة آلاف كان عليهم أن يشاركوا ، كما قالوا ، فى الحكم • ومع ذلك فقد اعترض ثيرامينيس على هذا المسلك أيضا قائلا ان الأمر يبدو له للوهلة الاولى غامضا اذ كيف لهم وقد أرادوا أن يجعلوا من خيرة المواطنين شركاء لهم فى الحكم أن يحدوا أنفسهم بثلاثة آلاف وكأنما هذا العدد لابد وأنه قد جمع رجالا صالحين وجادين ولا يمكن أن يكون هناك من يفوقهم لم ينضم اليهم أو كأن ليس ثمة بينهم من هو وغد لئيم » •

« أما عن حكومة الثلاثين ، فقد عقد هؤلاء اجتماعا للآلاف الثلاثة فى السوق العامة (الأجورا) ومعهم كل من تصادف ان كان هنا أو هناك ولم يكن اسمه مدونا فى السجلات ، ثم أصدروا أوامرهم بأن تجمع كل الأسلحة•وبينما كان الناس خارج عملهم،أرسلوا حراسهم من اللاكيديمونيين وكل المواطنين الذين كانوا يتعاطفون معهم ، فجمعوا الأسلحة ـ فيما عدا أسلحة الآلاف الثلاثة ـ وحملوها الى الأكروبوليس وأودعوها المعبد • والآن وقد تم ذلك ، وظنا منهم انهم أخيرا قد أصبحوا أحرارا فيما يفعلون فقد أطاحوا فى الناس قتلا لا لشىء الا للعداءات الشخصية ، وآخرين طمعا فى الاستيلاء على ثرواتهم • وكذلك طلبوا الى ثيرامينيس أن يعتقل من يشاء ، وقد أجاب : « عقيدتى أن ليس من الشرف فى شىء » هكذا قال : « بالنسبة لأناس صنفوا أنفسهم خير رجال أخرجوا للناس ، أن يقترفوا آثاما تنطوى على جور وظلم بينين لم يترد اليها أحط الناس

ولم يألف ذلك منهم قط • لأنهم يسمحون لمن يهبهم المال أن توهب له الحياة ، ولكن هل لنا أن نقتل ـ طلبا للمال ـ أناسا جرمهم انهم لم يقترفوا ذنبا ؟ أليست هذه الأعمال جميعا أعظم جرما من أعمالهم ؟ » عندئذ رأى الثلاثون ثيرامينيس عقبة تعرقل ما تطيب له نفوسهم ، فدبروا ضده المكائد، وظلوا يتهمونه الى الشيوخ كل على حدة بأنه يسب الحكومة • وبعد أن أسروا الى عدد من الشباب ممن تميزوا بالجسارة بأن يأتوا الى الجمعية وتحت ابطهم الخناجر استطاعوا أن يقنعوا الجمعية » • وهكذا يطغى الفساد ليجتث العنصر الطيب وليتزايد سفك الدماء والسلب والنهب والظلم •

يرى اكسينوفون فى هذا الفساد فى سياسة الدولة ، وفى الصراع الذى التهب اواره بعد ذلك حربا أشد ضراوة ، السياسة الفاسدة كالحرب الغاشمة سواء بسواء ، كلاهما مدمر ومهلك • وهو يصل هذا الفساد فى اثينا بفساد آخر قامت عليه الحرب التى شنها الاسبرطيون وقد أصبحوا هم قادة هللاس وسادتها على الفرس (ما بين عامى ٣٩٩ ـ ٣٨٧ ق•م) •

ويقول اكسينوفون فى السطور الاولى من الكتاب الثالث من «تاريخ اليونان» (ك٣ ف١ س١) « وهكذا انتهى الصراع الأهلى فى أثينا (كان ذلك سنة ٤٠١ ق•م) وبعد ذلك بقليل بعث كوروس الى الاسبرطيين برسله يقولون لهم ان عليهم أن يبرهنوا على انهم خير الاصدقاء له كما كان لهم فى حربهم ضد أثينا ، ثم يضيف اكسينوفون ، « فأما عن كوروس وكيف جمع جيشه ، وكيف سار بالجيش فى حملته المعروفة ضد أخيه الملك، وكيف دار القتال فى المعركة (معركة كوناكسا قرب بابل فى خريف ٤٠١ ق•م) • وكيف قتل كوروس، وكيف كان الاغريق عامل ضغط للعودة السالمة الى البحر ، كل هذا قد كتبه ثيمستوجينيس السيراكوزى » (وهو غير معروف الا بهذه الاشارة وهذا يثبت أن اكسينوفون حتى ذلك الوقت لم يكن قد كتب بعد أو نشر مؤلفه عن الحملة) • يترك ـ اكسينوفون الحديث عن حملة كوروس ، فقد خصص لها مؤلفا كاملا، ـ ونتركها بدورنا فقد عرضنا لها تفصيلا لينتقل ـ وننتقل معه ـ الى احداث سنة ٣٩٩ عندما أمر ملك الفرس بأن يعود تيسافرنيس الى حكم كل الولايات التى كانت تحت امرته ويضاف اليها الولايات التى كان يحكمها كوروس والمدن الأيونية ، غير أن المدن الأيونية بعثت برسلها الى اسبرطة ، اما لرغبتها فى الحرية والاستقلال أو لخوفها من تيسافيرنيس، باعتبارها مسئولة عن سلامتها تطلب منها العون • وعلى ذلك يرسل الاسبرطيون اليها ثيبرون *Thibrôn* كحاكم ومعه ألفا من المعتقين وأربعة آلاف من البيلوبنيزيين الآخرين « وطلب ثيبرون كذلك الى الاثينيين أن يمدوه بثلاثمائة من الفرسان ، قائلا انه سيدفع لهم اجورهم» • ويرحب الآثينيون بهذا العرض لأنهم يجدوا فيه فرصة للخلاص ممن لا يرغبون فى بقائه فى أثينا على أمل أن يذهبوا الى آسيا فلا يعودون • والغريب أن ثيبرون عندما يعود الى وطنه يجد تهمة فى انتظاره وينفى خارج البلاد ، وكانت التهمة انه سمح لجنوده أن ينهبوا الأصدقاء •

ويصف اكسينوفون بعد ذلك الصراع الذى احتدم أواره والذى عرف بعد ذلك باسم الحرب الكورنثية • وتفاصيل ذلك الصراع هى الخط

الأساسى فيما كتبه اكسينوفون عن السنوات من ٣٩٤ الى ٣٨٧ ق٠م حيث توحدت داخل ذلك الصراع الولايات المختلفة فى محاولة لتطويق قوة اسبرطة الصاعدة ، وقد زخرت هذه الفترة بالخيانات المخزية وحكم الظلم وتسلط البطش

وينقل الينا بعدذلك اكسينوفون تفاصيل معاهدة الصلح التى عرفت باسم « سلم انتالكيداس *Antalkidas* » (سنة ٣٨٧) ثم يتحدث عن السنوات الأخيرة من زعامة اسبرطة (ما بين ٣٨٧ـ ٣٧١) والتى تميزت بتلاحق الاوقات العصيبة وبالخيانة والعقم والعبث ، وينتقل اكسينوفون بعد ذلك الى وصف الجهود التى بذلت فى استمالة لعرقلة طيبة التى كان نجمها الآن قد بدأ يبزغ ، ويصف تفاصيل انتصار طيبة الصاعدة واذلالها لاسبرطة فى معركة لوكترا *Leuktra* سنة ٣٧١ ق٠م ثم الفترة التالية التى تبوأت فيها طيبة مكانا عليا سنة ٣٦٩ وحتى سنة ٣٦٢ ق٠م ، ثم انكسارها بعد ذلك حيث دانت نهايتها بمعركة مانتينيا سنة ٣٦٢ ق٠م وقد أحرزت نصرا كانتصار بيروس ، تفوق فداحة خسائره تواضع مغنمه ، فقد فقدوا فى هذه المعركة قائدهم العظيم ابامينونداس *Epaminondas*

والهللينيكا ، أو « تاريخ بلاد اليونان » على هذا ـ وباختصار ـ هو قصة انتصار اسبرطة على عدوها القديم أثينا ، ثم اضمحلالها وهزيمتها والنهاية المريرة التى أذاقتها لها طيبة ، ذلك العدو الجديد والعنيد ٠

وقد نقل اكسينوفون كل هذه الأحداث فى كثير من التفاصيل الدقيقة ٠ لقد أصر فى سخاء وفير أن يشير لنا الى كل بقعة صغيرة جرى فوقها حوار هادىء أو ملتهب ، ويعرفنا بكل رجل كان له دور ثانوى كاد لا يكون أو كان له دور هام ، وأن يظهر الباطن ويستبطن ظاهر كل شىء ، وأن يقف لحظة يتأمل الحديث وينقل الموقف الانسانى وراءه ، وكل هذا قد جعل تتبعنا لكل ما كتب فى مؤلفه ، ونقله فى تلك العجالة أمرا مستحيلا أو ضربا من العبث ، فلا حيلة لنا وتلك حالنا الا المضى فوق أعرض الخطوط فى خريطة أحداث تلك الفترة ، خاصة وأن الوقت يستحث سيرنا ـ قبل أن ينفد ـ الى نهاية متعجلة وحتى نبقى على فسحة منه نرى فيها بعض القضايا التى يثيرها هذا المؤلف «الهللينيكا» ، أو التى ثارت حوله ٠

لقد أثار هذا المؤلف «الهللينيكا» بدوره جدلا كثيرا دار أغلبه ـ ولا يزال يدور حول نقاط ثلاث ، وهى : وحدة العمل الداخلية ، وعلاقة أجزائه بعضها بالبعض ، ثم علاقة هذا التاريخ بتاريخ ثوكوديديس ، وأخيرا حيدة اكسينوفون أو تحيزه فى هذا المؤلف ٠ فيقول براونسون[١٩]: لا شك أن المؤرخ الذى يتصدى لتسجيل أحداث تاريخ يعاصره بنفسه ـ فيما نتوقع منه ـ يرصد تلك الأحداث أولا بأول وفق الترتيب الزمنى للأحداث بدلا من الانتظار الى قرب نهاية حياته ليسجل تلك الأحداث دفعة واحدة ، غير أن دراسات كثير من الباحثين ـ فيما يقول براونسون ـ قد دلت على ان الهللينيكا تنقسم الى أجزاء ثلاثة رئيسية كتبت على ثلاثة فترات متباعدة الى حد ما٠

١ ـ الجزء (٢٠) (من ك١ س١ ف١ الى ك٢ ف٣ س ١٠) يكمل ما كتبه ثوكوديديس عن حرب البيلوبنيز ٠

---

١٩ ـ Carleton L. Brownson, *ibid.*, Vol. I, MCMXXX, p. viii.

٢٠ ـ *Hellenica*, I, i, 1 — II, iii, 10

١ ـ الجزء (٢١) (من ك١ ف٣ س١١ الى ك٥ ف١ س٣٦) يبدأ منـــذ نهاية حرب البيلوبنيز وحتى سلم أفتالكيداس •

٣ ـ الجـزء الثالث (٢٢) (من ك٥ف٢س١ والى آخر المؤلف) ويبدأ منذ سلم انتالكيداس الى معركة مانتينيا •

وقد حدد تاريخ صياغة الجزء الأول بعام ٣٩٣ ق٠م ، أو بعد ذلك بقليل ، وتاريخ صياغة الجزء الثاني بين عامي ٣٨٥ ـ ٣٨٠ ، والجزء الثالث بين عامي ٣٦٢ ـ ٣٥٤ •

أما اندرهل (٢٣) فيقسم «تاريخ بلاد اليونان» الى جزئين حسب تغير الاسلوب وباختلاف القصد، ثم هو يقسم الجزء الاول الى جزئين ، يشـــغل الأول(٢٤) من ك١ الىك١٢ ف٣ س١٠ وهو تتمة تاريخ ثوكوديديس الى تدمير أسوار أثينـا الذي اعتبره ثوكوديديس نفسه بداية نهاية الحرب • والقسم الثاني من الجزء الاول يتمم الأحداث بعد فترة ستة شـهور ويبدأ (٢٥) من ك٢ف٣س١١ ويسرد تاريخ فترة اندلاع الحـرب من جـديد وحتى تأمـين بوزنياس ملك اسبرطـة لأثينا • والجزء الثاني يبدأ بالكتاب الثالث وينتهي بالسابع والأخير • ويسرد تاريخ اليونان في العام ونصف العام التالين ، ويستمر به دون حذف زمني كبير وحتى سنة ٣٦٢ ق٠م عام معركة مانتينيا وموت ابامينداس •

وهنا يثور سؤالان ، أولهما : ما مدى العلاقة بين هذا التاريخ والتاريخ الذي كتبه ثوكوديديس والثاني : ما مدى علاقة هذين الجزءين بعضهما ببعض ؟

تشير كل الشواهد ـ الداخلية والخارجية ـ الى أن الكتابين الأول والثاني هما استكمال ـ أو مفروض أن يكونا استكمالا ـ لتاريخ ثوكوديديس • فاذا عدنا الى ديودوروس (٢٦) Diodoros Siculus أوديونيســيوس الهليكارناس (٢٧) أو الى ماركيللينوس (٢٨) وجدناهم يقدمون لنا الشواهد على ذلك ، وان كانت الشواهد الداخلية تدلل على أن هذين الكتابين ليسا اســتكمالا لتاريخ ثوكوديديس على نحـــو ما أكمل ثوكوديديس هـيرودوت ، أو على نحو ما أكمـل ثيوبومبوس ثوكوديديس ، فقد بدأ بداية مستقلة من حيث توقف ثوكوديديس • انه لا يمهد القارىء ويقدم له اطارا تاريخيا للشخص أو للحدث وانما يبدأ من وسط الأحداث In Medias res مستخدما كلمـــات الربط « وبعـــد ذلك » التي تشـير فيما يبـدو الى معركـة كونوســيما Kynossema التي وصفها ثوكوديديس • ومرة أخرى في الكتاب الأول وفي الكتاب الثاني فصل ٣ سطر ١٠ ينهج اكسينوفون منهجا

٢١ ـ *Hellenica*, II, iii, 11 — V, i, 36.

٢٢ ـ *Hellenica*, V, ii, 1 — End.

٢٣ ـ G.E. Underhill, *ibid.*, *op. cit.*

٢٤ ـ *Hellenica*, I — II, iii, 10.

٢٥ ـ *Hellenica*, II, iii, 11.

٢٦ ـ *Hellenica*, X, iii, 42.

٢٧ ـ Ad. Pomp. 4.

٢٨ ـ Vit. Thuc. Paragr. 45.

No. 26, 27, 28, apud : Underhill, *ibid.*, p. 35.

تاريخيا سنة بسنة فى معالجته ، وهو منهج يبدو غريبا عن أسلوبه فى ربط الأحداث معا ، ثم هو لا يكاد يصل الى استسلام أثينا الذى كان ثوكوديديس قد أعلن انه هدف عمله حتى يتخلى عن هذا المنهج ويقص عن اغتصاب الثلاثين للسلطة دون أى تحديد زمنى • ولا شك أن عدم انسياقه ـ حتى فى الجزء الاول ـ لمنهج ثوكوديديس فى ترتيب الأزمات وتحديدها بالصيف والشتاء يدل بوضوح على انه كان يتبع منهج شخص آخر ، بل انه لا يلحظ ـ فيما يرى اندرهل ـ بداية الشتاء أو الصيف أو نهايتهما ، وهو ما لم يكن يغفله ثوكوديديس بحال • وكثيرا ما يترك أحداث السنة ليقفز الى السنة التالية ، بل كثيرا ما كان يحتفظ بمساحة زمنية قصيرة فى نهاية كل عام يقحم فيها تقريرا عن أحداث عصره هو • (الأحداث فى صقلية أو فى فارس أو فى أى مكان آخر) • وأخيرا فقد أغفل اكسينوفون فترة ستة شهور انصرمت بين استسلام أثينا وتسلم الثلاثين السلطة دون اشارة زمنية محددة •

وفى النهاية نصل الى هذا الحكم ، برغم كل هذا ، واذا كان اكسينوفون ـ على خلاف ثوكوديديس ـ يبدو فى أواخر عمله هزيلا فانه بالمقارنة بما كتبه ديودوروس وبلوتارخوس جدير بكل ثناء • لم يعد المؤرخون المحدثون لا يهتمون بالتاريخ خالصا جافا وانما يهتمون به باعتباره عملا أدبيا Opus oratorum يسمح للمؤرخ بعرض قدراته ومواهبه • ولا شك ان اكسينوفون بأسلوبه البسيط ، الصقيل غير المبتذل الصقل ، وبحبه للحقيقة بل أيضا بسبب تلك العيوب التى يعتسفها الدارسون فى أعماله ـ مهما كانت تشوه قليلا فانها بتلقائيتها وتواترها تميل الى تأكيد حقيقتها وصدقها ـ هو لكل هذه الاسباب يترك على ذهن قارئه انطباعا بأن « تاريخه » الى نهايته تاريخ حقائق •

ولا شك أن اكسينوفون ـ لاعتبارات كثيرة ـ كان أنسب من يؤرخ لتلك الفترة التى اختص بها مؤلفه « الهللينكا » فهو آثينى المولد والتربية • ومع ذلك فقد كان رجلا عالميا كثير التجوال ، استقر فترات ليست بالقصيرة فى الولايات اليونانية الأخرى ، اسبرطة وايليس Elis وكورنثة وتعرف من خلال تجاربه الكثيرة بيونانى آسيا والامبراطورية الفارسية • وعاش مع سقراط فى بداية حياته فترة طويلة تعلم منه الكثير ، كما كان صديقا حميما لأجيسيلاوس ملك اسبرطة الذى اصطحبه فى كثير من الحملات التى وصفها صاحبنا فى الهللينكا •

واذا كانت كتابة اكسينوفون عن « تاريخ بلاد اليونان » لا تخلو من تحيز بسيط لاسبرطة فانها قد خلت من الأخطاء التاريخية ـ وهذه قيمة كبرى ، لولا ان اكسينوفون قد لجأ الى الحذف الى حد يجد معه القارىء أحيانا نفسه فى حيرة أو لعله يخرج أحيانا بانطباع خطىء لكن يظل اكسينوفون فى النهاية كاتبا يتميز بنفاذ البصيرة ووضوح الرؤية وسلامة القصد والتعقل فى اصدار الحكم على الناس أو الاحداث ، ولا تزال كتاباته عن هذه الفترة بحروبها وأحوالها السياسية هى أوثق المراجع عن النصف قرن الذى يصفه وحسبه هذا •

أهم مخطوطات وطبعات الأناباسيس

١ ـ المخطوطات

تنقسم مخطوطات الأناباســيس الباقية الى قســمين ، الأول ـ مخطوطات الدرجة الأولى ـ وتشمل :

C. Parisinus 1640.

كتب سنة ١٣٢٠ ، عن مخطوط يرجع الى الجزء الأخير من القرن التاسع .

ولقد أجريت عليه تعديلات واضافات كثيرة ، أجراها قلم آخر ، وفى أغلبه كان التعــديل الى الأسوأ .

B. Parisinus 1641. من القرن الخامس عشر

A. Vaticanus 987. وهو متأخر عن سابقه

E. Etonensis من القرن الخامس عشر

وأفضل هذه المخطوطات جميعا هــو الأول ، وعنه نقلت المخطوطات الثلاثة E., A., B.

وأفضل مخطوطات المجموعة الثانية هي :

D. Bauleianus (lib. Canon. 39) من القرن الخامس عشر

V. Vindobonensis 95 من القرن الخامس عشر

٢ ـ الطبعات

وهي كثيرة ، لعلها تستحيل على الحصرالدقيق وذلك راجع لسهولة اللغة التي جعلت من هــذا النص مادة للتمرين على اجادة اللغة للمبتدئين ،

ونكتفي بالاشارة الى أهم هذه الطبعات .

ا ـ طبعات مزودة بالشروح

Rehdantz-Carnuth : Berlin (Weidmann)
Vollbrecht, W. : Leipzig (Teubner)
Goodwin and White : Boston (Ginn)
Mather and Hewitt : New York (American Book Co.).
Dindorf, L. : Leipzig and Oxford.
Cobet, C.G. : Leyden.
Hug, A. : Leipzig.
Gemol, W. : Leipzig (editio major)
Marchant, E.C. : Oxford.

أهم مخطوطات وطبعات الهللينيكا

١ ـ المخطوطات

بين مخطوطــات الهللينيكا العــديدة ست مخطوطات يعتد بها كأحسن المخطوطات ترتيبها كالآتى :

B. Parisinus 1738, in the National Library at Paris.

يرجع تاريخه الى مطلع القرن ١٤

M. Ambrosianus A 4, at Milan وتاريخه ١٣٤٤

قرن ١٥

D. Parisinus 1542, National Library at Paris

V. Marcianus 368, Library of St. Mark at Venice

كتب فى القرن ١٤ أو ١٥

C. Parisinus 2080, National Library at Paris بداية القرن ١٥

فى مكتبة جامعة ليدن وتاريخه ١٤٥٦ .

F. Perizionianus 6,

٢ ـ أهم الطبعات

أ ـ أعمال اكسينونون الكاملة

Junta : Florence, 1516, Editio Princeps (by E. Boninus).
Junta : Florence, 1527. 2nd ed. per Haeredes P. Intae.
Aldus : Venice, 1525, by F. Asulanus.
Stephanus, H. Geneva, 1561, 2 vols.
Stephanus, H. Geneva 1681, Second edition.
Leunclavius, J. : Frankfort, 1594, 2 vols.
Saupe, G. : Leipzig (Tauchnitz), 1865-7 (New ed. 1867-70) 5 vols.
Marchant, E.C. : Oxford, 1900, 5 vols.
Dakyns, H.G. : London, 1890, 4 vols.

ب ـ طبعات للهللينيكا مستقلة

Aldus : Venice, 1502. Editio princeps of the *Hellenica*.
Dindorf, L. : Oxford, 1853.
Cobet, C.G. : Amsterdam, 1862 (2nd. edition, Leyden 1880).
Büchsenschütz, B. : Leipzig (Teubner), 1873-84, 2 vols.
Kurz, E. : Munich, 1873-4. 2 vols.
Breitenbach, L. : Berlin (Weidmann), 1873-84, 2 voas.
Grosser, R. : Gotha (Perthes), 1885-93, 3 vols.
Keller, O. : Leipzig (Teubner), 1890, Editio Major.
Keller, O. : Leipzig (Teubner), 1890, Editio Minor.
Sorof, F.G. : Leipzig, 1899-1901.